ساقية الدماء

20

ساقية الدماء
جرائم صدام العراق
وحزب البعث الرجعى

المحتويات

مقدمة

بسم الله

يمكن للمرء أن يطلق ببساطة على صدام حسين لقب المناضل الاعلامي الأول في الوطن العربي . . فالأوساط الصحفية العربية والعالمية تعرف جيداً بذخ صدام حسين الذي فاق كل حد وتصور درجة السعي الذليل في اتجاه كل مطبوعة بهدف السيطرة عليها وتوجيهها واستقطاب كتابها ومحرريها وتحويلها الى مجرد طبول جوفاء .

ويستطيع المتابع المراقب للمطبوعات العربية والأجنبية أن يكتشف ببساطة تلك المجلات والصحف الرخيصة التي سقطت في دائرة اغراء صدام حسين وغرفت من أموال الشعب العراقي غمست اقلامها في دم المواطن العراقي المسفوح داخل الزنزانات السوداء والمعتقلات الرهيبة وساحات الاعدام وأقبية التعذيب ووسط ساحات المعارك الخاسرة ضد الثورة الاسلامية في ايران . .

يستطيع المراقب والمتابع أن يكتشف تلك الصحف

والمجلات من صور الرفيق المهيب المناضل صدام حسين المتناثرة على الاغلفة والصفحات وصور أولاده وعائلته وتلك المقالات المهزوزة التي تتحدث عن انجازاته وعبقريته وقدرته وخوارقه وبطولاته ..

لماذا كل هذا البذخ على الاعلام ؟

لابد للمرء أن يتساءل بمرارة وهو يقرأ الأكاذيب التي تحاول أن تنسج هالة من البطولة حول سفاح أثيم يعشق العنف والدم والدمار ..

وتأتي الاجوبة متتابعة :

أولا : يعتبر صدام حسين من أشهر المصابين بمرض حب الذات « النرجسية » فهو يعشق نفسه لدرجة تصفية أقرب الناس إليه والتعتيم على كل الرجال الذين يتكون منهم نظافة وهو بالتالي يبحث عن كل وسيلة لتمجيده وتعظيم نضاله المزعوم والإشادة بقدراته والتغني بعبقريته ، انه يريد ان يكون دائماً في دائرة الضوء ، وان تكون صورته في كل مكان ، واسمه على كل لسان .

ولا شيء يرضى شهوة هذا النرجسى سوى الوسائل الاعلامية يشتريها ويغدق عليها ويحاول أن يصنع منها غباراً يعمى به العيون حتى لا ترى صورته الحقيقية البشعة ، صورة الدكتاتور الفاشى القاتل الدموى .

ثانياً : لا يملك صدام حسين شيئاً يمكن ان يقدمه للجماهير العراقية سوى السجون والمعتقلات والتصفيات الدموية .

ومن هنا يكون الاعلام هو طوق النجاة الذى يعتقد أنه سيخرجه من بحر الدماء الى شاطىء جديد يراه فيه الناس بشكل آخر مختلف شكل الزعيم والمناضل والمقاتل والمهيب والعبقرى والمخطط والمدبر والحكيم .

انه لا يستطيع أن يواجه الجماهير مباشرة بفكر حقيقى أو فعل جاد فيواجهها من خلال الصور الملونة والاوراق المصقولة والكتابات الرخيصة الميتة التى لا روح ولا نبض .

ثالثاً : يريد صدام حسين أن يتجاوز بزعامته الموهومة القطر العراقي ليكون زعيماً للأمة العربية وكأن هذه الأمة قد عصمت واصابها الخمول والموت الى تلك الدرجة التى ترتضى فيها ان يكون فيها سفاحاً مجرماً مثل صدام حسين زعيماً لها ينطق بإسمها ويتقدم صفوفها .

وهاجس الزعامة هذا هو الذى يدفع صدام حسين الى شراء الصحف والمجلات في محاولة لفرض زعامته على الوطن العربي . . وتقوم هذه الصحف والمجلات بشن هجومها القذر على كل شرفاء هذه الأمة الذين يواجهون صدام بالحقيقة والذين يقدمون للجماهير العربية الفكر النير الجديد الذى يحررها من قيود الاستغلال والاستعباد والذى يقودها الى طريق الخلاص حيث الحرية والسعادة والعدل .

ان صدام حسين من خلال نرجسيته ومن خلال هواجس الزعامة التى تملأ خياله يدفع

من خزينة الشعب العراقي الأموال الطائلة لتحطيم كل قيمة عربية تخرج من وسط ظلام الأمة الحالك لتشعل نهاراً جديداً يملأ القلوب بالدفء والامان والاستقرار . . .

لكن زعامته تظل مجرد خيال مريض ومحاولته تدمير شرفاء الامة مجرد حلم تافه لن يتحقق أبدا لأن شرفاء الامةهم أكبر وأعظم من كل الوريقات الصفراء التى يشتريها هذا السفاح الأحمق .

رابعاً : دفعت الطموحات المريضة صدام حسين الى التورط في حرب قذرة ضد ثورة اسلامية حررت شعباً بأكملة من حكم الشاه وأجهزة السفاك وآلات التعذيب . فكشفت هذه الحرب ان صدام حسين مجرد دمية يحركها الاستعمار في الاتجاه الذى يريد مستغلا أمراضه النفسية المدمرة ومستغلا طموحاته التافهة . ومتسغلا ضعفه الواضح

ومستغلا شهوته العارمة للسلطة والتسلط ولو كان
ذلك على وطن من الجماجم .

ولكن هذه الحرب القذرة انقلبت على السفاح الدموى
وتحول سراب قادسية صدام الى هزيمة شنيعة نكراء . .

فكيف يمكن أن يدارى المهيب الدموى هزيمته ؟
لو كان رجلا لأعلن لشعبه هزيمته وقدم لهم نفسه لينال
جزاء جريمته التى دفع الشعب ثمنها دم خيرة شبابه .
لو كان شجاعاً لأطلق على رأسه رصاصة واحدة تكون
فيها نهايته وبداية شعبه من جديد .

لو كان مهيباً لركب طائرة واختار أى جزء من
العالم منفى يكفر فيه من هزيمة ألصقها بشعب وهو بعيد
عنها لم يخطط لها ولم يشارك فيها .

لكن الخجل والرجولة والشجاعة والمهابة صفات بعيدة
من هذا السفاح المريض .

اذن فلتنقلب الهزيمة الى نصر ، والاستسلام الى انسحاب
وهنا مرة أخرى يأتي دور الصحف والمجلات

الرخيصة التي لا تشعر بآلام الشعب العراقي واحزانه والدماء التي نزفت من أجساد شبابه ، لأن أموال صدام حسين أعمى عيونها وسد آذانها وأمات قلوبها .

تأتي هذه الصحف والمجلات لتصور صدام حسين بالبطل الذى يعرف متى يتقدم ومتى ينسحب . .

هذه هى قصة السفاح الدموى مع الاعلام وهذه بعض أسباب سعيه الذليل لشراء كل مطبوعة تعرض نفسها للبيع . ولعل قصة صدام حسين مع الاعلام تجرنا الى قصة أخرى يرتب سطورها واحداثها مع الشباب العربي المتواجد في أوربا .

ان هذا السفاح يحاول بكل الطرق استقطاب الشباب العربي المتواجد في أوربا سواء لغرض الدراسة أو العمل أو الاقامة وهو في سعيه لهذا الاستقطاب انما يهدف الى التأكيد على زعامته الامة العربية ، ولتأكيد قدرة حزب البعث العراقي على ملأ الفراغ الفكرى والسياسى والعقائدى لدى الشباب العربي . . ولمحاولة كسب أنصار يمجدونه

ويمجدون نظامه ويغطون بذلك على جرائمه التى يرتكبها في حق الشعب العراقي الذى يعيش جهنم بمعناها الحقيقى ، وأيضاً لمحاولة تحويل الشباب العربي الى طابور في مخابراته يقوم بتقديم كل الخدمات التى تعطى حياة أطول لنظامه الفاسد .

وصدام حسين من خلال سفاراته المنتشرة في أوربا والتى هى في حقيقتها أوكار للمخابرات العراقية يحاول استقطاب الشاب العربي في أوربا بمختلف الاساليب والوسائل منها مثلا : —

١ — تستغل مخابرات صدام حسين الحاجة المادية لبعض الشباب العربي المتواجد في أوربا فتحاول عن طريق تقديم المساعدة المادية لهم استقطابهم وتصوير صدام حسين بأنه الزعيم الانسانى الذى يحس بآلامهم ويمد اليد لنجدتهم .

٢ — تتغلغل مخابرات صدام حسين في الأوساط الطلابية وتحاول عن طريق تقديم المنح الدراسية المجانية

للطلبة العرب الفقراء لتقديم السفاح القذر على أساس انه القادر على فتح أبواب العلم مجاناً أمام كل من يؤمن بزعامته وزعامة حزبه .

٣ ـ تعمل مخابرات صدام حسن على استغلال الفراغ الفكرى العقائدى لدى الشباب العربي على الساحة الاوربية الذى يواجه حرباً مدروسة من قبل الصهيونية فتحاول هذه المخابرات ان تقدم صدام حسن على أساس انه الملهم الذى يملك عن طريق فكر البعث العراقي الفكر العقائدى الذى يربطهم بأمتهم ويمكنهم بالتالى من مواجهة القوى الصهيونية .

٤ ـ تحاول مخابرات صدام حسن استقطاب الشباب العربي الهارب من دائرة الانظمة الرجعية المهترية العفنة ، والباحث عن طريق جديد يقوده الى النضال ضد تلك الانظمة العميلة التى تنهك حركة الامة وتؤخر تقدمها .

وتقدم تلك المخابرات صدام حسن بإعتبار انه المنقذ

الاوحد الذى يستطيع أن ينظم الصفوف ويتقدمها لإسقاط كل الانظمة الرجعية التى تنخر كالسوس في جسد الأمة .

ان صدام حسن كأى لص سارق للسلطة من أيدى الجماهر يعرف جيداً كل الطرق القذرة التى تجعله يبدو زعيماً مهيباً صاحب فكر وحزب وتاريخ .

ولكن هل يكفى أن يشترى صدام حسين مجموعة من الصحف والمجلات؟وان يستقطب مجموعات صغيرة من الشباب حتى تسقط عنه حقيقة انه عميل متواطىء مع الرجعية؟وانه سفاح مجرم قاتل حول العراق الى بحيرة من دم الشرفاء الذين صرخوا في وجهه لا لنظامك وحزبك وقيودك ؟ هل يستطيع صدام حسين ان يخفى حقيقته البشعة ؟ هل يستطيع أن يسجن شمس الحقيقة حتى لا تهتك أسوار الظلام الذى فرضه على شعبه ؟

هل يستطيع صدام حسين أن يوهم الشعب العربي بأنه بطل قومى تقدمى ؟

صدام حسين يعرف انه لا يستطيع ذلك . . ومخابرات

صدام حسين تعرف انها عاجزة عن طمس الحقيقة . وحزب البعث التكريتي يعرف انه لا يملك شيئاً يواجه به الحقيقة . لهذا تبدو حركتهم جميعاً محمومة مجنونة طائشة مفضوحة . .

لنحاول بسرعة ان نثير بعض الاسئلة حول البطل العربي القومى التقدمى . . صدام حسين .

لماذا لم يتحرك البطل لمواجهة ايران أيام كان الشاه يعيث فساداً في ايران ويقذف بشعبها المسلم الى آلات التعذيب داخل أقبية السافاك . . أيام كان الشاه ملك الملوك الذى يفتح أبواب وطنه المسلم للصهاينة أعداء العروبة والاسلام ويحول بلاده الى ترسانة أمريكية تهدد الأمة العربية كلها ؟

لماذا يسعى صدام حسين ذليلا الى شاه ايران يعقد معه الاتفاقيات المشبوهة ؟

لماذا لم يتحرك ويتذكر ان له أرضاً وحقاً إلا بعد أن سقط الشاه نتيجة تفجر الثورة الاسلامية وانتصارها وطردها

للصهاينة ووقوفها في وجه الامبريالية الامريكية بكل قوتها وجبروتها ؟ هل أراد صدام حسين أن يكون شاهاً جديداً ؟ أم أراد أن يكون مخلب القط لتنفيذ أوامر الصهيونية والامبريالية الامريكية والرجعية العربية التى رأت في الثورة الاسلامية الايرانية خطراً يهددها ويهدد مصالحها ؟

لن نجيب ولكننا نترك الاجابة لصدام حسين البطل القومى العربي التقدمى المهيب . ونسأل مرة أخرى .. لماذا يحول صدام حسين العراق العربي المناضل ليكون أحد دول حلف جنوب غرب آسيا الدفاعى الذى تم اختياره في مؤتمر الطائف الذى عقد سنة ١٩٨٠ م والذى خلف حلف الناتو بعد سقوط نظام الشاه ؟

هل هذا الحلف قومى تقدمى عربي ؟

هل هذا الحلف للدفاع عن القومية العربية والوحدة العربية والأهداف العربية ؟

هل هذا الحلف لمواجهة الصهيونية والامبريالية الامريكية؟

هل هذا الحلف عربي منبثق من القلب العربي الذى كماهو ملىء بالآلام والاحزان فهو ملىء بالامال والاحـــلام والمطامح ؟

لن نجيب ولكننا نترك الاجابة لصدام حسين البطل القومى التقدمى العربى المهيب .

ونسأل مرة أخرى . .

لماذا وقف أنور السادات المقبور مع صدام حسين وقدم له الأسلحة وهو يشن حربه القذرة ضد الثورة الاسلامية في ايران ؟

هل كان أنور السادات يقف مع العرب وهو الذى وجه لهم أعنف طعنة في تاريخهم بزيارته للصهاينة وبفتح أبواب مصر العربية أمام جحافلهم القذرة ؟

هل كان السادات يقف مع الحق العربي وهو الذى سلم هذا الحق هدية على صحن من ذهب للصهيوني سفاح دير ياسين مناحيم بيغن ؟

لماذا يفعل السادات كل هذا لصدام حسين ؟

لن نجيب ولكننا نترك الاجابة لصدام حسين البطل القومى التقدمى العربي الذى انطلقت مقررات مؤتمر القمة من بلاده وهى المقررات التى أدانت وجرمت وقاطعت السادات بإعتباره عميلا صهيونياً أمريكياً . . .
ونسأل مرة أخرى . .

لماذا تمنح مملكة آل سعود لصدام حسين مبلغ (٤٠) مليار دولار اضافة لسداد ديون العراق نتيجة التورط في الحرب ضد الثورة الاسلامية وهى ديون وصلت الى أرقام خيالية ؟

هل منحت السعودية كل هذه الأموال لأن صدام حسين يخوض حرباً ضد الصهيونية التى تحتل أرض فلسطين؟

هل منحت السعودية هذه الأموال لأن صدام حسين يشن حرباً لتحرير بيت المقدس من أيدى الشرذمة الصهيونية ؟

هل منحت السعودية هذه الأموال لأن صدام حسين يواجه الامبريالية الامريكية ؟

طبعاً لن نجيب ..

ولكننا نترك الاجابة لصدام حسين البطل القومى التقدمى العربي الذى لا شك يعرف جيدأ ان السعودية انما تدفع كل تلك الاموال لا بحثاً عن نصر للشعب العراقي ولا محاولة لاضفاء الزعامة والبطولة على صدام حسين .. ولكنها تدفع حتى لا يتقدم مد الثورة الاسلامية ليصل الى مملكة آل سعود يحرر بيت الله من دنس الملوك والامراء الذين عاثوا في الأرض فساداً .

ونسأل مرة أخرى ..

لماذا يقدم الملك حسين بتقديم كل هذه المساعدات لصدام حسين في حربه ضد الثورة الاسلامية الايرانية بينما العدو الصهيوني يجثم على الارض العربية ويقف أمامه وعلى أرضه ؟

هل يريد الملك حسين أن يحرر الضفة الغربية من خلال صدام حسين ؟

هل يريد صدام حسين أن يحرر القدس باتجاه الجيش العراقي لمواجهة الشعب الايراني المسلم ؟

لن نجيب ..

ولكننا نترك الإجابة لصدام حسين البطل القومى التقدمى العربي المهيب .

ونسأل مرة أخرى وأخيرة ..

لماذا يقف الحلف الرجعى القذر المتكون من الأنظمة الرجعية في مصر والاردن والسعودية والسودان والصومال ودول الخليج مع صدام حسين ؟

هل لأن صدام حسين واجه عدواناً صهيونياً ؟

هل لأن صدام حسين واجه عدواناً أمريكياً ؟

هل لأن صدام حسين يشن حرباً مقدسة ضد أعداء الأمة العربية ؟

لن نجيب . . .

ولكننا نقول ان الأقنعة قد سقطت وان لاشيء يستر السفاح الدموى صدام حسين . .

انه مجرد ديكتاتور غارق في بحور الدم .

مجرد دمية تحركها الامبريالية العالمية .

مجرد مريض نفساني يحترق في أتون عقده . .

مجرد واهم كبير تكسرت أوهامه في أول تجربة حقيقية تعرض لها .

مجرد لص قذر سرق سلطة الشعب العراقي وحريته وحقوقه . .

ان صدام حسين بطل في الصحف والمجلات التى يشتريها بأموال الشعب العراقي .

ويوم يثور الشعب العراقي على الهزيمة التى أوقعه فيها السفاح سوف لن يبقى من صدام حسين سوى الذكريات السوداء المشوهة .

وسوف لن يذكر التاريخ منه سوى سجونه ومعتقلاته وضحاياه وتحركة تحت المظلة الاميريالية والرجعية والصهيونية

أما حزب البعث العراقي فهو مجرد صورة رسمها صدام ويلونها كما يشاء ويتلاعب بها كما يشاء ويمزقها متى شاء ويحرقها متى يشاء .

انه مجرد صالون يجلس فيه صدام حسين ويمد رجليه ويرسم كل مؤامراته القذرة ضد الشعب العراقي وضد الشعب العربي وضد الثورة الاسلامية في ايران وضد كل شرفاء وقادة الأمة العربية .

ان حزب البعث العراقي التكريتي مجرد ورقة يلعب بها صدام حسين . .

وإلا فهل من يقول لنا أى فكر يملكه هذا الحزب ! وأى حل يقدمه ؟ وأى خلاص يبشر به ؟ وأى خطة يتقدم بها ؟ وأى انجاز يحققه ؟ وأى هدف يتبناة ؟

لقد انكشف كل شىء . .

وسوف لن تنخدع الأمة العربية .

وسوف لن ينخدع الشعب العربي .
وسوف لن ينخدع الشباب العراقي .

فلقد أصبح صدام حسين عارياً تحت شمس الحقيقة سفاح دموى ديكتاتورى عميل .

ولقد أصبح حزب البعث العراقي عارياً تحت شمس الحقيقة مجرد وكر للتآمر ضد الأمة العربية والاسلامية .

والنصر في الغد للشعب العراقي البطل والنصر للأمة العربية والشرفاء فيها .

ماذا يجرى فى العراق

(1)

حين يجرى الحديث عن العراق ، تتشعب اطرافه وتفوح منه رائحة الدم . وتكثر خيوط الحديث الى درجة ، بحيث لا يعرف الانسان من أين يبدأ . وحين يكون الانسان نفسه شاهداً رأى المآسى بأم عينه أو عاش مع أناس كانوا هم ضحايا أو شواهد في قضايا هى أغرب من الخيال ، فان الافكار اذ ذاك تتضارب وتتزاحم ، وكل فكرة تريد ان تكون هى السباقة . ومهما كانت خيول الافكار جامحة فانها يجب ان تخرج من دائرة الفوضى ، حتى نتمكن من اعطاء صورة حقيقية عما يعانيه العراق على أيدى أحفاد هولاكو والتتر ورئيسهم أو ملكهم غير المتوج ، (بطل) القادسية الموهوم ، الجلاد صدام حسين .

ان هذا الارهابي تتوفر فيه كل شروط السادية والنرجسية والغطرسة وجنون العظمة والتشبه بالقادة العظام ، قد بدأ حياته السياسية قاتلا يعيش على هامش حزب البعث

العراقي ، يتحين الفرص ويصطاد في الماء العكر ويستغل أوضاع العراق غير الطبيعية ، الى ان جاء انقلاب شباط / فبراير ١٩٦٢ م حيث أصبح عضواً في هيئة التحقيق مع كل المجرمين ناظم كزار وعمار علوش وكانا من أصدق أصدقائه والمنافسين له في مستوى عمله التعذيبي لا نتزاع الاعترافات الموهومة من الابرياء والضحايا . وكل من مر في حينه بهيئة التحقيق المذكورة فانه شاهد الجحيم بأم عينه ، ثم كان مصيره الموت الزؤام .

وفي انقلاب البعث الثاني في تموز / يوليو ١٩٦٨ م كان هو قد سبق بأشواط ليس زميليه فحسب ، بل كل قادة حزبه ، ذلك لانه استطاع ان يركب الموجة داخل حزبه بأساليبه (الارسين لوبينية) ، حيث أصبح نائباً لما يسمى بمجلس قيادة الثورة . وكان ان اصبح ناظم كزار (الجلاد المعروف) مديراً للأمن العام وعمار علوش مديراً عاماً في احدى الدوائر الحكومية . وحسب قوانين شريعة الغاب فان الذئاب تفترس بعضها البعض . والظاهر ان عمار علوش كغيره من أعضاء الحزب القدماء لم

يهضم مسألة ان يبقى هو تحت وصاحبه يزهو كالطاووس في قمة الحكم وراح يتذمر ويطعن . وكان ان مسكه صديقه الحميم صدام حسين وحلق له رأسه وأظهره في الاذاعة المرئية بتهمة سرقة ١٢٠ مائة وعشرين ديناراً !
وشعر ان الاعضاء القدماء في حزبه ممن هم أعلى مستوى منه يشكلون خطراً عليه ، هو الذى قفز فوقهم في غفلة من الزمن . وراحت مخابراته (التكريتية) تراقبهم . ورأى ان أحسن حل للتخلص منهم هو تصفيتهم بمختلف الوسائل ، اذن فليتغذ بهم قبل ان يتعشوا به . . وبدأت التصفيات تأخذ اشكالا مختلفة ، فمن الدهس بالسيارات الى الاغتيال المباشر ، فالتعيين في السلك الخارجى . . وفشلت المحاولة الانقلابية التى قام بها ناظم كزار في صيف ١٩٧٣ م فصفاه صدام حسين هو وزمرته شر تصفية . .

كان مؤسس البعث العراقي وسكرتيره العام فؤاد الركابي في تلك الفترة في السجن ، فرأى صدام ان الفرصة مواتية للتخلص منه ، فأرسل له أحد المجرمين المحكومين

بمدة طويلة فأرداه قتيلا بطعنات من مديته ، ثم نشر اشاعة مفادها انه قتل في السجن لأسباب خلقية . أجل ، ان صدام حسين لا يكتفى بقتل أعدائه ومنافسيه فحسب ، بل انه يشوه سمعة ضحاياه بعد الموت أيضاً . هذا بالاضافة الى انه وزمرته يمشون بعض الأحيان وراء جنازة الضحية . أو يرسل مبلغاً من المال لأهل القتيل !

يبدو ان (بطل) القادسية الموهوم ، كان أذكى من جميع رفاقه وحلفائه . وبالطبع فان ذكاءه لم يأت في سعة دماغه أو معرفته الواسعة ، فاقرانه في ثانوية تكريت وكذلك أساتذته يعرفون جيداً انه كان طالباً فاشلا .

وقصة الاستاذ الذى رسبه في جامعة المستنصرية وارسل درجته داخل المظروف الى ادارة الكلية بعد هروبه من العراق خوفاً من البطش به ، نقول ان هذه القصة أيضاً معروفة . فذكاؤه اذن ليس مبعثه المعرفة الواسعة وسعة التفكير ، بل الغدر والخيانة والجبن والصعود على أكتاف الآخرين والقفز فوق الجماجم . .

ولا غرابة اذن ان يصاب مثل هذا الطالب الفاشل بعقدة الحقد على العلم والعلماء ، ولا سيما على أساتذة الجامعات ، حيث حولهم بقانونه المسمى « قانون الخدمة الجامعية » الى مجرد عبيد يلتزمون بالدوام من الثانية صباحاً وحتى الخامسة مساء على حساب البحث العلمي والتتبع . كما ان عقدته هذه قد سمحت له ان يمنح نفسه أنواع الشهادات والالقاب العلمية والرتب سواء العسكرية منها أو المدنية ، فمن شهادة ماجستير في العلوم العسكرية الى شهادة دكتوراه في العلوم الاجتماعية . وبين عشية وضحاها أصبح فريقاً في الجيش ثم سرعان ما تحول الى مهيب ، علماً ان الوصول الى مثل هذه الرتب يحتاج الى عقود من الزمن . وربما قد منح نفسه الآن رتبة مارشال . .

ان ضحايا صدام حسين لا تعد ولا تحصى . وهم يتوزعون بين أصدق أصدقائه والد أعدائه . فعندما يقتل صديقاً حميماً فانه يذرف دموع التماسيح . ولا يتواني ان يتظاهر بذلك أمام الناس ، كما فعل ذلك حين

نصب حمام الدم لنصف أعضاء القيادة القطرية من حزبه .
وانتزع رئاسة الجمهورية من صديقه وأخيه وأبيه الحميم
أحمد حسن البكر . وذلك لحل احدى عقده الكبيرة
فأصبح رئيساً للجمهورية ، وقائداً عاماً للقوات المسلحة ،
ورئيساً لمجلس قيادة الثورة ، وأميناً عاماً لحزب البعث
العربي الاشتراكى – القطر العراقي . . الخ من الألقاب . .

ترى ، هل ان هذه الألقاب قد حلت كل عقده
المريضة ؟ وأشبعت جوعه الى التسلط والسيطرة والقتل ؟
لعلك اذا وجهت هذا السؤال الى أى عراقي مهما كان
بسيطاً ، فانه سيقول لك بصوت محتد : كلا ثم كلا . . .
انه لا يزال يحلم بأن يتحول الى قيصر العرب . . الى
نابليون بونابرت . . أو الاسكندر المقدوني . . ولكن ،
هيهات ان تدور عجلة التاريخ الى الوراء ، فحمامات
الدم لا تنتهى الا بأعراس الدم . .

(2)

إن ضحايا صدام حسين لا تعد ولا تحصى وهم يتوزعون بين اصدق أصدقائه ورفاقه والد أعداؤهم، فبالإضافة الى الاسماء المعروفة التى ضحى بها بمختلف الوسائل ، هناك الالوف من الضحايا المجهولين الذين قتلوا تحت التعذيب أو اغتيلوا واعدموا بمحاكمات أو دون محاكمات . وعلى فكرة فانه تحت ظل النظام التكريتى في العراق لا يوجد ما يطلق عليه الناس بالمحاكمات أو العدالة سواء خارج حزب البعث أو داخله ، فهناك محكمة تسمى « محكمة الشعب » كل من وصلها سواء أكان مذنباً أو بريئاً ، لا يخرج منها دون ان يحكم بالسجن لمدة لا تقل عن سبع سنوات ، واما معدل الحكم فلا يقل عن خمسة عشر عاماً . هذا بالنسبة للمواطنين العاديين ممن هم خارج حزب البعث ، واما بالنسبة الى أعضاء حزبه فهم محكومون بالاعدام مسبقاً ، حيث كل من صدرت منه كلمة تذمر غير مباشرة يسلم الى زبانية الجحيم ويكون في خبر كان . وأحكام الاعدام في القوانين العراقية مسألة اعتيادية جداً ،

هذا بالاضافة الى الطرد والفصل والتهديد بقطع الارزاق والنقل الى الاماكن البعيدة والضرب والاعتداءات المختلفة واصطناع التهم لزج معارضى النظام في السجون والارشاء والاغراء والتهديد بعدم القبول في الجامعات ، واشتراط الانتماء السياسى للبعث للموافقة على الايفادات والبعثات والزمالات الى الخارج ، حتى لقد بلغ فيها الحال الى ان يصدر قرر باسم قيادة الثورة في ١٩٧٥/١٠/٢٩ م ينص على ما يلى : —

١ — لا يعترف بالشهادة التى يحصل عليها الطالب العراقي عن طريق التمتع بزمالة أو منحة من جهة أجنبية أياً كانت ، ما لم يكن التمتع بتلك الزمالة أو المنحة قد تم بموافقة وزارة التعليم العالى والبحث العلمى .

٢ — يعاقب بالسجن مدة لا تقل عن خمس سنوات ولا تزيد عن خمس عشرة سنة كل عراقي قبل زمالة أو منحة دراسية من دولة أجنبية دون موافقة السلطات العراقية المختصة .

وكان الواضح من هذا القرار حرمان الطلبة من التمتع بالدراسة على حسابهم الخاص ، بعد ان سدت أمامهم أبواب الكليات بسبب رفضهم الانتماء الى الحزب الحاكم أو حرمانهم من التمتع بالزمالات التى تمنحها بعض الدول العربية للطلبة الهاربين من العراق ، أو ارغامهم على الانتماء الى حزب البعث لقاء الموافقة على ذلك .

من المعلوم ان ممارسة النشاط السياسى أو عدمه في أى نظام ديمقراطى حق من حقوق المواطنين الاساسية ، فالانتماء الى حزب ما أو التصويت له وبالعكس الخروج منه والكف عن تأييده والتصويت له أمر مشروع اذا جرى ذلك بالوسائل الديمقراطية . وكل الدساتير الاساسية للاحزاب السياسية في أى بلد في العالم تراعى هذه القاعدة . ان المرء اذا ما انتمى باختياره الى حزب سياسى فمن حقه (في المقابل) ترك هذا الحزب والتخلى عن عضويته لاسباب تتعلق بمدى توافق الخط السياسى للحزب مع أفكاره ، وربما لأسباب شخصية بحتة ، الا ان حزب البعث العراقي قد نحا غير هذا المنحى ، والاغرب في

الامر انه جعل من مسألة العضوية في حزب البعث لا مسألة انضباطية داخلية ينظر اليها في اطار النظام الداخلى للحزب وأحكامه ، وانما أمر من الامور التى ينظر اليها بموجب قانون العقوبات واعتبر المخالفة الحزبية جريمة جنائية .

ففى عام ١٩٧٤ م اضيف الى المادة (٢٠٠) من قانون العقوبات فقرة جديدة نصت على معاقبة كل من ينتمى الى حزب البعث بالاعدام اذا اخفى عن عمد انتماءاته وارتباطاته الحزبية والسياسية السابقة ، وفي نهاية عام ١٩٧٦ م اضيفت فقرة جديدة أخرى الى المادة ذاتها نصت على ما يلى : « يعاقب بالاعدام كل من انتمى أو ينتمى الى حزب البعث العربي الاشتراكى ، وثبت انتماؤه بعد انتهاء علاقته بالحزب الى أية جهة حزبية أو سياسية أخرى أو يعمل لحسابها أو لمصلحتها ، كذلك يعاقب بالاعدام « كل من كسب الى أية جهة حزبية أو سياسية شخصاً له علاقة تنظيمية بحزب البعث العربي الاشتراكى ، أو كسبه الى تلك الجهة بعد انتهاء علاقته بالحزب بأى شكل من الاشكال وهو يعلم بتلك العلاقة » .

يعلم الجميع في العراق ان سبب اصدار هذه القوانين التى تحكم بالاعدام بكل بساطة ، هو تلك الموجة من تقديم الاستقالات من هذا الحزب الذى أصبح مكروهاً من الجميع في العراق ، كما ان خطورة هذه النصوص القانونية لا تأتي فقط من انها تقضى على حرية المرء في اختيار اتجاهاته السياسية ، وانها مصاغة بشكل غير دقيق مثل « يعمل لحسابها . أو يعمل لمصلحتها » أو « اية جهة سياسية » أو « له علاقة تنظيمية . أو بأى شكل من الاشكال» في وقت تقضى فيه بالحكم بأقصى العقوبات (الاعدام) وانما تكمن خطورتها أيضاً في أمرين آخرين : أولهما اثارة الخوف والرعب في قلوب أعضاء حزب البعث أنفسهم حتى لا يتركوا الحزب وبالتالى ارغامهم على السكوت ازاء الاعمال التعسفية والتسلط الفردى ، وثانيهما : انه يجرى تجنيد المواطنين للانضمام الى حزب البعث تحت طائلة التهديد والارهاب وبالضد من قناعتهم الفكرية في كثير من الاحيان وتحويلهم الى أدوات مسخرة ضد الافكار والمبادىء التى آمنوا بها وضد الهيئات

السياسية التى نذروا أنفسهم لتأييدها ، والا فالموت المحقق في الانتظار تحت لافتة العمل لحساب أو لمصلحة تلك الجهة .

وفي ١٩٧٨/٧/٣ م شرع قانون آخر يقضى بفرض عقوبة الاعدام على كل عسكرى أحيل على التقاعد بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ م وكذلك كل عسكرى متطوع اذا سرح من الجيش بعد انتهاء الخدمة بعد التاريخ المذكور ولاى سبب من الاسباب ، في حالة ثبوت انتمائه الى أى حزب أو جهة سياسية عدا حزب البعث وبهذا يكون كل فرد في العراق سواء شاء أم أبي محكوماً بالاعدام حسب قوانين شريعة الغاب التكريتية .

ان هذا الحاقد على الشعب العراقي لم يكتف بوضع قوانين الاعدام نظرياً لكل أبناء الشعب العراقي بل راح يرسلهم أفواجاً ليطبق عليهم الموت بصورة جماعية في اتون الحرب ضد الجارة ايران وثورتها ، ليبقى هو وزمرته يتفرجون على النيران التى تلتهم البشر ، كما فعل نيرون عندما أحرق روما .

(3)

في إحدى النشرات الداخلية الصادرة عن حزب البعث العراقي في منتصف عام ١٩٧٨ ، جاءت عبارة تقول « من الضروري تجنب كشف الأوراق قبل نضج الظروف المناسبة » .

أجل ، ذلك هو أحد التكتيكات الديماغوجية التي مارسها ولم يزل صدام حسين ، ليس فقط مع منافسيه وأعدائه في داخل حزبه ، بل مع قوى وجهات وطنية وقومية في نطاق العراق وخارجه . فهو لم يدخل في تحالف دون أن ينقلب ضده في فترة وجيزة خالقاً لذلك مختلف الحجج والأعذار شأنه في ذلك شأن قصة الذئب والشاة . وهو حين يلتجيء إلى تلك التحالفات والاتفاقات ، انما ليس حبا للتعاون والعمل المشترك ، بل لغاية في نفس يعقوب ، فيرتدي فروة الخروف متقدما من عدوه يطلب منه الصفح والغفران ونسيان الماضي وفتح صفحة جديدة ، ولا ينسى أن يمسح دموع التماسيح ويتلو بضع كلمات منمقة تؤكد على أن هذه العلاقة الجديدة

انما هى علاقة استراتيجية وليست تكتيكية وانها تضع مصلحة الوطن العليا فوق كل اعتبار آخر ويشهد الله على ذلك . ولما كان المقابل لم يقرأ ميكافيلى قراءة « واعية » ولم يتعرف على تعاليمه . وجاء بنية صافية فانه يصدق كل شيء ويبدأ بنسيان الماضى .

ان التجارب المريرة التى عانتها الحركة الوطنية العراقية بكل فصائلها هى أكبر دليل على لا أخلاقية صدام حسين في سياسة المحالفات التى التجأ اليها للتخلص من العزلة الخانقة التى كان يعانى منها حزبه ، ولذلك كانت لهجة البيان الأول الذى أذيع في انقلاب تموز / يوليو ١٩٦٨ كلها رجاء ووعود ودعوة لنسيان الماضى وفتح صفحة جديدة من العلاقات بين القوى الوطنية والقومية العراقية. بيد انالجماهير الشعبية بفطرتها كانت لا تصدق مثل تلك « الوعود » ولا سيما ان ذكريات المآسى والدماء التى أريقت في انقلاب ٨ شباط / فبراير ١٩٦٣ كانت لا تزال طرية في أذهان الناس .

ولما كانت الحركة الكردية في تلك الفترة في عنفوان قوتها ، وتشكل قوة ضاربة في كردستان العراق ، ولا سيما أن الشاه المقبور كان يدعمها ، وجد صدام حسين أنه لا بد من حل هذه المشكلة بطريقة لا يعتمد فيها على القوة ، لأن حزبه في تلك الفترة ، ورغم استيلائه على الحكم — بواسطة ضابطين كبيرين عميلين للأمريكان — كان يقف على قدمين واهنتين ولم يصلب عوده بعد . وكانت ضربة قاضية ومحكمة من الحركة الوطنية — فيما اذا كانت موحدة — تكفى للإطاحة به . وهكذا بدأ صدام يلوح بالراية البيضاء ويتحدث عن السلم وعن انسانية حزب البعث العراقي وتفهمه العميق للقضية الكردية . حتى أنه ذهب بنفسه إلى الملا مصطفى البارزاني في مقر عمله في « كلالة » يفاوضه لحل المشكلة الكردية . وكان أن تمخضت الجهود — بعد المفاوضات الطويلة — عن اتفاقية ١١ آذار ١٩٧١ ، علما أن هذه الاتفاقية لم تكن حلا نهائيا للمشكلة ، بل كانت مجرد هدنة بين الطرفين وعرض للخطوط الأولية التى ينبغى بموجبها حل المشكلة الكردية . وكان الشيء الأساسى الذى يلح عليه

صدام هو تجريد الأكراد من اسلحتهم والشيء الظاهري الذي تحقق هو السماح للحزب الديمقراطي الكردستاني بفتح فروعه في المحافظات واصدار جريدته اليومية « التآخي » وتعيين خمسة وزراء من الأكراد . وهنا لا بد من الاشارة إلى حقيقة وهي ان العراق منذ استيلاء حزب البعث على الحكم في ١٧ يوليو ١٩٦٨ حتى كتابة هذه السطور ، لم يشهد مجلساً للوزراء . ولذلك فان الوزير هو مجرد موظف كبير يتلقى الأوامر من صدام وينفذها بحذافيرها .

والآن ، ما الذي فعله صدام حسين في فترة الهدنة تلك ؟ قام بمحاولة اغتيال فاشلة لنجل البارزاني في بغداد . ومحاولة فاشلة أخرى على طريقة جيمس بوند لاغتيال البارزاني نفسه في مقره ، استعمل فيها أحدث الأجهزة الإلكترونية في عالم الاغتيالات ، وبعد كل محاولة انقلابية فاشلة كان يرسل البرقيات الحارة إلى البارزاني يستنكر فيها المحاولات الاستعمارية المشبوهة والآثمة التي تريد اشعال نار الفتنة والقتال بين الأخوة من جديد ! ولم يكتف بذلك ، بل استطاع ان يزيد ويعمق الخلافات الموجودة داخل الحركة الكردية

ويصب عليها الزيت ويؤلبها ضد بعضها البعض . ونجح أيضا في تأليب الأكراد ضد قوى وطنية اخرى كانت فيما مضى متحالفة معها . وهكذا راح يزرع الشقاق هنا وهناك حتى يعطى لحزبه فرصة الديمومة والبقاء ، وذلك تمشيا مع المبدأ الاستعماري القائل : « فرق تسد » . والمؤسف ان الحركة الوطنية العراقية المعارضة ، رغم تجاربها الكثيرة ، كانت غافلة عن تلك الألاعيب .

والشيء الذى يستوقف النظر أن ما من فترة من فترات حكم حزب البعث العراقي ومنذ ١٩٦٨ خلت من حملات واجراءات قمعية واغتيالات تجاه المعارضين او المنتقدين .

وهكذا ادار صدام حسين ظهره لاتفاقية ١١ آذار ، بعد ان وطد حكمه واحس بتكاثر العضلات في قدميه الواهنتين .

وتجمعت غيوم الحرب في سماء كردستان العراق وبدأ القتال فعلا ، وتقاربت القيادة الكردية — مع الأسف — أكثر فأكثر من شاه ايران المقبور إلى أن وقعت في احضانه فراح يلعب هو في مقدراتها . وهنا احتاج صدام حسين إلى لغة

تقربه من القوى الأخرى المعارضة حتّى لا يبقى لوحده في مواجهة الأكراد ، فارتدى فروة الخروف من جديد ، وراح يعلن ضرورة جمع الأحزاب والقوة الوطنية في جبهة موحدة ونسيان الماضي وفتح صفحة جديدة من العلاقات ، ولا سيما ان هناك خطراً استعماريا يهدد استقلال العراق ووحدة ترابه فتم الاتفاق على اعلان الجبهة الوطنية والتقدمية .

وكانت الجماهير الشعبية تعرف مقدماً وبفطرتها أيضا ان عمر هذه الجبهة قصير ،وان صدام انما يريد ان يجمد معارضة القوى الوطنية التي كانت تزعجه ولكي ينصرف نهائياً لضرب الحركة الكردية ، موجهاً كل طاقاته ضدها . وفعلاً تم التوقيع على ميثاق الجبهة الوطنية والقومية التقدمية في صيف ١٩٧٣ وراح صدام حسين يضع الخطط اللازمة ويتخذ الاجراءات لضرب الأكراد بعد ان استطاع احداث انشقاق في حزبهم . وبدأت المناوشات والتحركات العسكرية وكان صدام يعرف بتجاربه هو وتجارب غيره ان القتال لا يحل هذه المشكلة المستعصية التي بدأت في خريف عام ١٩٦١ في زمن عبد الكريم قاسم . ولا سيما ان البارزاني

كان يملك ٧٠٠٠٠ سبعين الف مقاتل بالاضافة إلى مجموعة من العشائر المسلحة ، هذا إلى جانب الدعم المكشوف من قبل الشاه المقبور .

اذن ، ينبغى العودة مرة أخرى إلى تعاليم ميكافيللى والتفكير في حل جذرى يسحب البساط من تحت أقدام البارزاني . وفعلا تم له ما أراد وكان ان انحنى صدام حسين امام شاه ايران المقبور في ٦ آذار ١٩٧٥ حيث تم التوقيع على الاتفاقية المذلة التى ادعى صدام في حينها انها تخلو من أية تنازلات أو تفريط بحقوق العراق واراضيه ومياهه الاقليمية وانكشف الأمر في الواقع عن أكبر خيانة وطنية يقوم بها حزب البعث العراقي ، حيث تنازل لشاه ايران المقبور عن ٥٠٠ كيلو متر مربع طولى من الشريط الحدودى بالاضافة إلى مئات الأميال من مياه شط العرب والمياه الاقليمية ، وعدم مساندة حركات التحرر العربية في ظفار والخليج العربي كل ذلك مقابل موافقة الشاه المقبور على ايقاف الدعم للبارزاني وانهاء الحركة الكردية وهكذا انهارت الحركة

الكردية والقى عشرات الألوف من الأكراد المسلمين اسلحتهم بتوجيه من البارزاني ملبين نداء العفو العام الذى اصدرته قيادة البعث العراقي والتجاء البارزاني إلى اميركا .

وبدأ صدام حسين بتصفية من لا يتعاون معه ، فأما الدخول في خيمة البعث او الابادة ويشهد سجن الموصل المركزى على الاعدامات الجماعية بحق الالاف من الأكراد وتم تشريد ستين الف عائلة كردية معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ إلى جنوب العراق .

وتم تدمير كافة القرى الكردية ونقل سكانها إلى مجمعات سكنية قرب أو داخل المعسكرات التى سبق لصدام ان بناها في فترة الهدنة .

وبعد مرور فترة تقل عن السنتين تأكد صدام حسين من ان المشكلة الكردية التى كانت قد استعصت على اربع حكومات متعاقبة قد تم حلها الآن بالشكل الذى اراده هو فلينم قرير العين ومرتاح البال ، ولكن ... هل من مبرر لبقاء ما يسمى بالجبهة الوطنية والقومية التقدمية بعد هذا الانتصار

العظيم الذى صنعته عبقريته الفذة ؟ ولا سيما ان بعض اطرافها كان ينتقد الممارسات اللاديمقراطية وسياسة تهجير الأكراد الأمر الذى استفز بشدة مشاعر صدام حسين الرقيقة جدا .

وبدأ بتصعيد حملته ضد الجبهة الوطنية نفسها وكان عام ١٩٧٧ بداية الهجوم المكشوف ... ملاحقات ، التضييق على ابسط الحريات ، اجبار مؤيدى الجبهة للانتماء إلى حزب البعث ، وفصل من الوظائف ، النقل إلى اماكن بعيدة ، التعذيب البشع بمختلف الوسائل في أقبية الأمن العامة ، الاعتداء على الأعراض ، الاغتيال فالاعدامات ... ووصلت الحملة الارهابية إلى القمة في نهاية ١٩٧٨ ، حيث انتهت الجبهة الوطنية ولم يبق سوى واجهة يتاجر بها صدام امام الهيئات الدولية .

وفي هذه الفترة كانت القيادة البعثية العراقية قد حكمت على نفسها بالعزلة التامة سواء على المستوى الداخلى او العربي او العالمى . وكانت المعارضة الداخلية قد بدأت بالصعود ورغم فاشية البعث العراقي واجراءاته الصيانية المشددة للحفاظ على حياة كوادره وأعضائه فان حملة الاغتيالات والثأر بدأت

تشتد ضد البعثيين في جميع انحاء العراق . وجرت مظاهرات في عدة محافظات وفي مدينة الثورة وهى حى شعبى كبير في بغداد معظم سكانه من الكادحين – جرت مظاهرة ضد البعث قتل فيها مسئول منظمة البعث هناك ، حيث اطلق الرصاص على المتظاهرين . ومن الطريف انه قتل على ايدى النساء حيث ضربنه بالأحذية والعصى كما جرى قتل مسئولين بعثيين كبار في بعقوبة والسليمانية والفرات الأوسط ومحافظات الجنوب . ومما زاد الطين بلة بالنسبة لصدام وحزبه الانتصار التاريخى العظيم للثورة الاسلامية في الجارة ايران حيث اعطت زخماً قويا للمعارضة الوطنية في العراق .

ومن المعلوم وكما اكدنا في سابق الحديث ان صدام حسين حين يجد نفسه معزولا او ضعيفا يلتجىء إلى المحالفات والاتفاقات لا ليقوى نفسه بواسطة هذه الوسيلة فحسب، بل لكى يتسلق على اكتاف او جماجم الذين يتحالف معهم كشأنه دائماً . ولذلك فانه حين يقول في احدى النشرات الداخلية الصادرة في منتصف عام ١٩٧٨ : « من الضرورى

تجنب كشف الأوراق قبل نضج الظروف المناسبة » انما لأنه كان يخطط لعمل خطير جدا ، الا وهو مشروع الوحدة الاندماجية مع سورية ولصدام حسين زبانية خاصة به هي اشبه بذيل الحية ، تعرف باسم (الأمن القومي) يرتبط به مباشرة او بواسطة اخيه من أمه برزان ابراهيم التكريتي وتشرف هذه الزبانية على — كما وتراقب أيضاً — كل الأجهزة الأمنية مثل الاستخبارات العسكرية ومديرية الامن العامة والحزب والوزارات . . الخ . . ولها صلاحيات مطلقة مثل مداهمة البيوت ، خطف الناس في الشارع ، التعذيب والقتل وحساب مفتوح ، ويتهامس أعضاء هذه الزبانية عادة بما يفكر به صدام بايعاز منه — في داخل صفوف حزبه أو بين أوساط معينة ، وذلك لتهيئة الاذهان للاعمال التي يخطط لها فبماذا كانوا يتهامسون في بداية خريف ١٩٧٨ ؟

حافظ الاسد مصاب بالسرطان وسوف يموت قريبا . . والقيادة السورية هزيلة فلابد ان تبتلعها قيادة بعث العراق . .

الخ . . كل ذلك وفكرة الوحدة كانت لا تزال في المهد ولكن حافظ كان يعرف جيداً مع من يتعامل وهو أدرى من غيره بهؤلاء ، بيد ان حرصه على تعزيز جبهة الصمود والمقاومة جعله ينسى كل الخلافات بما فيه المطالبة برأس ميشيل عفلق . وكان صدام حسين لا يعتقد ان استجابة الأسد ستكون بهذه السرعة الأمر الذى ادخل الرعب في قلبه المذعور والمتشكك أبداً ونفس الشيء حدث لميشيل عفلق الأب الروحى لصدام حسين إذ ان كليهما لايرتويان من الدم . .

وبدأت التساؤلات تدور في رأس كل من صدام وعفلق من الذى سيكون رئيس دولة الوحدة ؟ ومن الذى سيكون الرجل الثاني في دولة الوحدة ؟ ان المسألة ستبقى في كل الأحوال بين الرئيسين الأسد والبكر . . وهو . . الأمين العام المساعد للقيادتين القطرية والقومية ونائب رئيس الجمهورية ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة ، وماذا سيكون مصيره ؟ ولا سيما إذا اتحد الحزبان في حزب واحد ؟

وعفلق الأمين العام للقيادة القومية ؟ وفيلسوف العروبة والاسلام ماذا سيكون مصيره ؟ هل يستطيع أن يتنقل بحرية بين بغداد والبرازيل والعواصم الأوربية بالطائرة الخاصة التى أهداها له صدام حسين ، ورصيده المفتوح؟ هل سيبقى مفتوحاً ؟ واتصالاته المشبوهة ؟ كلا . . كلا ان المسألة لايمكن أن تمر بهذه السهولة ولابد ان شيئاً يدبر في الظلام ، أو على الأقل يجب تدبير شيء في الظلام فما قيمة الوحدة إذا لم يكن صدام حسين صنمها وميشيل عفلق سادنها اذن ، فليعد مرة أخرى إلى تعاليم ميكافيلى ولابد من قراءة أخرى واعية لكتاب « الأمير » فليتغذ بهم قبل أن يتعشوا به . .

وهكذا ، والناس البسطاء في عز الفرحة لقرب يوم ابرام الوحدة ، طبخ صدام حسين طبخته الشهيرة في مطبخ المفستو ميشيل عفلق . . وكان ان جاء بموضوعية جديدة لم يسبق لتاريخ العدالة والقضاء ان عرفها ، الا وهوتقسيم قيادته الفطرية إلى شطرين —. الشطر الأول يحاكم الشطر الثاني ويحكم عليه بالاعدام سواء شاء حزبه أم أبي . إن

الذئب حين يصاب بالسعار فانه يبدأ ينهش لحمه هوواما البكر ، رئيس الجمهورية فأزيح بمسرحية فاشلة الاخراج ونصب صدام حسين نفسه ملكاً غير متوج على العراق وحل بذلك عقدة كبيرة من عقده الكثيرة . .

أجل . . من الضروري جداً تجنب كشف الأوراق قبل نضج الظروف المناسبة . .

(4)

تمشياً مع مبدأ ضرورة تجنب كشف الأوراق قبل نضج الظروف المناسبة كان صدام حسين يخطط لكثير من الأشياء . والظاهر انه يملك تقويمه الخاص به ، والذى يحدد فيه الأيام والأشهر والفصول التى يفجر فيها قنابله حسب ساعات الصفر التى يحددها هو بوحى من المفستو ميشيل عفلق . وعلى فكرة فان روحه التكريتية التى توارثت مهنة التهريب واللصوصية أباً عن جد ، تسمح له أحياناً ان يتمرد على شيطان وحيه عفلق ، وتمرده هذا لا يأتي بالطبع اباء وكرامة أو شجاعة ، إنما عن لؤم وجبن وخوف على كرسى عرشه غير المتوج . والا فكيف سمحت له نفسه أن يلقى بالهرم البائس منيف الرزاز عضو القيادة القومية – لا أدرى بالضبط ، لعله أيضاً أمين عام مساعد لتلك القيادة – في غياهب السجون ؟ ومصيره غير معروف حتى لرفاقه من أعضاء القيادة القومية .

على كل حال لنرجع إلى التقويم السرى الخاص به .

لقد تأكد أيضاً أنه لا يلتزم حتى بتقويمه الذى صنعه هو في ضوء (حساباته الدقيقة) جداً ، فهو حين كان يتاجر بالقضية الفلسطينية في منتصف السبعينات ويعتبرها قضية أساسية لا تقبل المساومة والتأجيل بأى حال من الأحوال وانها لا يمكن ان تحل إلا عن طربق الحرب ، ويرفض بل ويعاقب كل من يذكر كلمة (اسرائيل) التى يجب ان تستبدل بكلمة (الأرض المحتلة) ، نراه وقد بدأ في عام ١٩٧٨ م يغير سياسته في هذه المسألة ، إذ ان (الأرض المحتلة) قد تحولت بقدرة قادر في خطبه إلى (اسرائيل) . والقضية الأساسية التى كانت لا تقبل المساومة والتأجيل لا يمكن أن تحل في رأيه إلا بعد عشرين عاماً . إذ انه حين ركل القضية الفلسطينية بقدمه إلى مسافة عشرين عاماً كان يسجل في تقديمه مسألة أخرى أهم بكثير من القضية الفلسطينية ، الا وهى اعلان الحرب ضد الثورة الايرانية ! ولكن لمصلحة من .؟

وهذا التغير الجديد الذى دخل في تقويمه ، قد أحدث من حيث يريد أو لا يريد تغييرات جذرية في مجمل الخطوط

العريضة ، والمواعيد التي حددها في تقويمه منها مثلا التقرب من السعودية والامارات والمغرب والتضييق على الفلسطينيين في الطرق ومطاردتهم ، مغازلة السادات واعتبار القزم حسين اخا روحياً له واعلان حرب صليبية على الشيعة في العراق وخلق النعرات الطائفية وتشريد ٤٠,٠٠٠ اربعين الف عائلة عراقية إلى ايران . . . الخ . . من الجرائم التي لا تعد ولا تحصى .

وحين نشحذ ذاكرتنا المتعبة بعض الشيء ونعود إلى الوراء . وبالضبط إلى خريف عام ١٩٧٨ م حيث ليل الفاشية المكفهر يزداد ظلاماً في سماء العراق ، نتذكر ما كنا نسمعه من الهمسات من بعض الطيبين من منتسبي حزب البعث ، والذين ، كانوا يخافون من الجدران ان تنقل كلامهم . أقول ان هولاء كانوا يتهامسون حول القرار السرى الصادر عن (مجلس قيادة الثورة) أو ان شئت (مجلس الجزارين) والمتضمن ضرورة انتساب (جميع) ابناء الشعب العراقي بنسائه ورجاله وأطفاله إلى حزب البعث بأى وسيلة كانت وذلك قبل حلول عام ١٩٧٩ . علماً ان

القرار السرى السابق لهذا القرار كان يقضى بتحقيق نفس الفكرة في عام ١٩٨٠ ، إذاً ، كان صدام حسين قد راجع حساباته الدقيقة من جديد فوجد انها غير دقيقة ، أو أن صبره قد نفذ لعدم موافقة الناس على الانتماء إلى حزبه رغم الاغراءات السخية والتهديدات ، بل بالعكس راح المنتسبون إلى هذا الحزب أنفسهم يفكرون جدياً في وسائل تؤدى بهم إلى خارجه . وهنا لابد من الاشارة إلى ان المنتمى إلى البعث العراقي لا يحق له الاستقالة أو ترك الحزب . وحتى إذا طرد من الحزب لسبب ما يمنع عليه النشاط السياسى والا فانه يحكم عليه بالاعدام .

قد يستغرب القارىء الليبي العزيز من مثل هذا القرار الذى يقضى باجبار كافة ابناء الشعب العراقي على الانتساب إلى البعث العراقي ، ولكننا قبل أن نسوق له عجائب أشد غرابة من هذا ينبغى ألا ننسى ان صدام حسين قد بدأ بعملية التبعيث منذ انقلاب ١٩٦٨ بيد انه كان يتبع في ذلك سياسة الخطوة خطوة مثل زميله الخائن السادات والطيور

على أشكالها تقع ، وتنقسم هذه السياسة إلى ثلاث مراحل توزعت ما بين الفترة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٩ وهى كما يلى :

١ ـ مرحلة الترغيب والاغراء والتملق من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٤ .

٢ ـ مرحلة التهديد والوعيد والحرب النفسية من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ .

٣ ـ مرحلة الاختيار بين التعذيب حتى الموت أو البيعة من ١٩٧٧ إلى ١٩٧٩ .

وعندما يتم القاء القبض على الشخص الذى يرفض حمل (شرف) الانتماء إلى البعث العراقي تختصر معه عملية المراحل الثلاث المذكورة إلى عدة ساعات وربما إلى ساعة واحدة فقط وذلك حسب مزاج الجلاد الذى يقوم بالاستجواب والتحقيق . والحزبي الذى يستطيع ان يكسب شخصاً إلى البعث العراقي ـ بأى وسيلة كانت ـ يمنح مبلغاً قدره ٥٠ ديناراً مع ترقيته إلى درجة حزبية أعلى .

ان معظم الذين كسبهم صدام حسين في المرحلتين الأولى والثانية كانوا أصحاب النفوس الضعيفة والشخصيات الهزيلة والعناصر الوصولية والنفعية والخائفة على خبزها ، الأمر الذى جعل العديد من الأعضاء القدامى يتركون الحزب ، ولا سيما ان أولئك بدأوا يتسلمون المراكز الحساسة في الحزب والدولة . والمعروف ان صدام حسين لا يريد أعضاء يقفون بوجهه أو يحاسبونه على أعماله أو ينافسونه في الشهرة والسمعة ، بل يريد حاشية من المهرجين والمصفقين الذين ينحنون أمامه بذل وخنوع . كما انه يتعامل مع من يتحالف معه من القوى الأخرى بنفس الاسلوب بعد أن يحقق الغاية التى من أجلها وقع على وثيقة التحالف ، ويتصورهم كما لو انهم عملاء له إلى أن تبدأ التناقضات بالظهور ، فنرى ان كل فئة أو جهة تحدد موقفها منه حسب المنطلقات التى تؤمن بها فاما الافتراق والوقوف في جبهة المعارضة أو الخنوع والتحول فعلا إلى أداة لتنفيذ المآرب الصدامية . .

ان القرار السرى الذى صدر خريف عام ١٩٧٨ من مجلس قيادة الجزارين ، والذى يقضى بتبعيث كافة ابناء الشعب العراقي باجبارهم على الانتساب إلى حزب البعث بأى وسيلة كانت ، أقول ان هذا القرار لم يكن الأول من نوعه ، إذ ان عملية التبعيث قد بدأت منذ بداية السبعينات ، ولكنها بدأت تتصاعد في منتصفها إلى أن بلغت الذروة في نهاية ١٩٧٨ ، فمنذ منتصف السبيعينات بدأ العمل للتبعيث يجرى بشكل مدروس ، بعد ان بدأ منذ اليوم الأول للانقلاب ينفذ في مجالى الجيش والشرطة ، وكانت الكليات العسكرية وكلية الشرطة والمعاهد التابعة لها لا يدخلها إلا البعثيون ثم امتدت العملية إلى صفوف الموظفين . ولما كان العمل صعباً بين صفوف الطلاب لذا صدرت قرارات لتبعيت بعض الكليات واغلاقها في وجه غير البعثين . وهذه الكليات والمعاهد هى :

١ ـ كليات التربية

٢ ـ كليات التربية البدنية .

٣ ـ أكاديمية الفنون الجميلة .

٤ ــ قسم الاعلام واللغة الكردية في كلية الآداب .

٥ ــ معاهد ودور المعلمين الابتدائية .

٦ ــ معهد الفنون الجميلة .

ان كل من لا ينتمى إلى حزب البعث لا يستطيع الوصول إلى أبواب تلك الكليات والمعاهد . وكانت النتيجة ان انحطت المستويات الأكاديمية في تلك الكليات لقبولها أعدادا غفيرة من الطلبة غير المؤهلين للدراسات العالية ، حتى انها أصبحت موضعاً للتندر والاستهزاء من قبل الحركة الطلابية التقدمية . ورغم كون تلك الكليات مقفلة للبعث العراقي فقط ، نرى ان حركة المعارضة قد خرجت من بينها أيضاً وجرت الاعتقالات والتحريات في أوساطها . واستمرت عملية التبعيث وهى تتخذ مختلف أشكال الاغراء والتهديد والوعيد وكانت النتيجة دائماً هى هى : شراء الضمائر الميتة والعناصر الهزيلة والنفعية التى كانت بحكم تملقها ووصوليتها تتسلم مقاليد الأمور وتسرق الآلاف خلال أشهر قليلة ، إلى أن وصلت القضية إلى درجة

انه لم يبق مدير عا م في وظيفته أكثر من ثلا ثة أشهر . والشعب العراقي يروى الحكايات الطريفة والنكات حول المقولة الببغائية التى يتشدق بها صدام حسين ، وهى (الرجل المناسب في المكان المناسب) والتى استبدلها الشعب العراقي بالمقولة التالية : (كن بعثياً ولا تعمل) .

ووجد صدام حسين ان هذا الشعب لا تفيد معه التهديدات والحروب النفسية ، انه يجب ان يرجع إلى سياسة الحجاج وجنكليز خان ، فليبدأ بأوساط المثقفين الذين هم مصدر كل المشاكل . وكان ان بدأ حملته المشهورة ضدهم في خطابه الذى ألقاه قبل انتهاء عام ١٩٧٨ م وفي نفس الوقت كانت قد بدأت عملية تطبيق المرحلة الثالثة ، وهى مرحلة الاختيار بين التعذيب حتى الموت أو البيعة وذلك تحت اشراف الجزار سعدون شاكر مدير الامن العام آنذاك ووزير الداخلية حالياً .

وصدر قرار يقضى بانتماء كافة العاملين في هيئات التدريس سواء في مجال التعليم الابتدائي أو الثانوى أوالجامعى

إلى حزب البعث العراقي . والشيء الغريب هنا والذى لم يسبق له مثيل في العالم هو انك لا تستطيع الاستقالة من وظيفتك وتنتقل إلى مهنة حرة حتى تتخلص من مشكلة الانتماء الاجبارى ، فأما ان تنتمى أو تمر بالمراحل الثلاث الآنفة الذكر . وعند اصرارك على الاستقالة أو عدم الانتماء فان المرحلة الثالثة في انتظارك . وهكذا يتم القاء القبض عليك وأنت في طريقك إلى البيت . وفي أسرع من البصر يتم نقلك إلى اقبية الامن العام أو إلى احدى الدور السرية التابعة لها في بغداد أو المحافظات الأخرى ، حيث تبدأ عملية التعذيب . والبعثيون العراقيون يبزون الجستابو وفرق اس اس الهتلرية في أساليب التعذيب . فليس أمامك إذن سوى ثلاثة أشياء ، اما أن ترضخ للأمر الواقع وتوقع على وثيقة الانتماء فتتحول بقدرة قادر إلى بعثي عراقي أو تهرب وتختفى أو تموت تحت التعذيب .

ولم يقتصر الأمر على أوساط المثقفين وحسب ، بل امتد حتى شمل الموظفين الاداريين والفنيين في شركات النفط ، وتحولت وزارات بكاملها إلى دوائر مغلقة للبعث .

وأصبح (صك الغفران) البعثى المظلة الواقية الوحيدة ضد الاعتداءات والخطف والاغتيال . ولعل اسوأ عملية فاشية شاهدها العراق في تاريخه الحديث هى مناظر القاء القبض على أساتذة الجامعات سواء داخل قاعات المحاضرات أو في أروقة الجامعات أو في الشارع ، الأمر الذى أدى إلى هرب آلاف الأساتذة إلى خارج العراق تاركين أعمالهم وبحوثهم وأموالهم وحتى عوائلهم . ولن ينسى الشعب العراقي وطلبته أساليب الاتحاد الوطنى البعثى لطلبة العراق والذى تحول إلى جهاز بوليسى بيد المخابرات الصدامية يقوم باعمال التحقيق والتعذيب في داخل الكليات .

وامتد الطاعون الصدامى حتى إلى بيوت الله . ففى بداية عام ١٩٧٩ صدر قرار بعدم بناء الجوامع والمساجد من قبل الأشخاص أو الهيئات ، بل بواسطة وزارة الأوقاف على أن تحمل الجوامع اسم مجمعات دينية تقوم بنشر ما يسمى بالوعى البعثى والثقافة البعثية وتثقيف الناس في الجوامع بمقولات ميشيل عفلق وكان القرار يشمل أيضاً النقطتين التاليتين

١ – ضرورة انتماء كافة العاملين في المساجد والجوامع من الأئمة ورجال الدين والمؤذنين إلى حزب البعث .

٢ – كتابة خطبة الجمعة من قبل مستشارين في مجلس قيادة الجزارين . وما على خطباء الجوامع إلا قراءتها بحذافيرها ومن يخالف ذلك يعاقب بشدة .

وقد عوقب بعض المخالفين فعلا فماتوا تحت التعذيب نذكر منهم على سبيل المثال الحاج مهدى حسين امام مسجد داقوق ، وكذلك اعدام العالم الديني محمد باقر الصدر واخته زهراء الصدر .

والمشرف على عملية تبعيث بيوت الله هو على بدر الدين (لبناني) استاذ في كلية الفقه في العراق .

أجل ، ان المرء حين ينشر الطاعون في كل مكان ، فان جراثيم هذا المرض تتمخض عن أوبئة مختلفة أخرى لا تلبث ان تنقلب على أصحابها فتحرقهم وتحولهم إلى

هباء منثور . واما الشعوب فلا ولن تنتهى مهما كانت الأوبئة سريعة الحصاد للأرواح . وحتى هتلر بجبروته وطغيانه لم يستطيع أن يصبغ الشعب الألماني بلونه الرمادى ، لون الموت والدمار ، فكيف بصدام القزم وهو يواجه الشعب العراقي البطل ؟ شعب المآثر والثورات ؟

(5)

ان بطل القادسية الموهوم ، جلاد الشعب العراقي صدام حسين قد صرح أكثر من مرة ، ان الجهة التي ستتسلم الحكم بعده ، انما ستتسلم مجرد انقاض وخرائب وأرضاً بلا سكان ! . .

أجل ، هذا هو المصير الذى خططه الفاشى المتمرس للشعب العراقي مسبقاً . . وهو يعلم علم اليقين ان مصيره لن يكون بأحسن من مصير شاه ايران المخلوع أو هتلر . . واما العراق الحبيب فسيبقى أبد الدهر شامخاً رغم أنف صدام . . سيبقى رغم التخريب والقتل والدمار . . سيبقى العراق ويندثر ألف صدام ...

أين هى حجافل جنكيزخان والتتر ؟ ألم يقتلوا حتى الاطفال في المهد ؟ واين هو الحجاج الذى كان يقطف الرؤوس ، مشبهاً اياها بثمار حان قطافها ؟ . . أين هو نورى السعيد وعبد الآله ؟ . . هل تمكن هؤلاء من انهاء الشعب العراقي وابادته ؟ . . لقد ذهبوا وبقى الشعب ،

فالأحلام التى تملأ رأس صدام حسين وزبانيته انما هى أحلام العصافير . والشعب العراقي الذى يتحمل الآن كل أنواع الذل والهوان بصبر وجلد يعرف كيف ومتى يثور . وصدام حسين يعرف جيداً أى مصير أسود ينتظره . وإلا فلماذا أرسل جميع أفراد عائلته الى الخارج ؟ . لماذا هرب المليارات ليضعها باسمه وباسم أفراد عائلته في مصارف سويسرا والنمسا وألمانيا الغربية ؟ لماذا أرسل مئات الألوف من الأطنان من النفط الخام الى فرانكو مجاناً ؟ . . لماذا اشترى جزيرتين في المحيط الهادىء ؟ لماذا حفر نفقاً سرياً يربط القصر الجمهورى بالمطار ؟ . .

هل هذا كله يدل على ذكائه المفرط ؟ أم يدل على غبائه الذى لا حدود له ؟ ان تجربة صديقه الحميم شاه ايران المخلوع والمقبور لا زالت طرية . وان كل أساليب الغدر والشيطنة والديماغوغية التى بواسطتها تسلق على قمة السلطة لن تخلص جلده من قبضة الشعب العراقي ، فالى أين يلتجىء ؟ الى الأردن ؟ والحسين عصاً هشة لا يمكن التوكؤ عليها ؟ أم الى الولايات المتحدة الامريكية ؟

والولايات المتحدة عجزت عن تحمل مسئولية الحفاظ على حياة الشاه ؟ . . هذا رغم ان الشاه كان أقوى وأذكى بكثير من الجلف المتغطرس .

هل تنقذه تعاليم ميكافيلى في كتابة « الأمير » ؟

ان المقربين الى صدام حسين والكثيرين من أبناء الشعب العراقي يعرفون انه من المعجبين جداً ، الى حد الهوس بكتاب (الأمير) لميكافيلى . وإنه قبل أن ينام يقرأ منه عدة صفحات ثم يضعه تحت وسادته ، تماماً كما كان يفعل هتلر . ولهذا السبب صدر هذا الكتاب بعدة طبعات أنيقة ومجلدة تجليداً فاخراً في العراق . ولا يكتفى صدام حسين بقراءته هو حسب ، بل ينصح المقربين اليه وكافة أفراد زبانيته بقراءته بامعان وتطبيق تعاليمه ضد الأعداء (فقط) والا ينسى أن ينصح رفاقه — ضمن وصاياه الداخلية للذين يتسلمون (شرف) عضوية حزبه — بأن لا يلتجئوا الى مثل هذه المناورات والمغامرات (داخل) الحزب ، بل خارجه ! ذلك لأن مثل هذه

المناورات – سواء داخل حزبه أم خارجه – إنما من اختصاصه هو ليس إلا !

فما هي ياترى تعاليم ميكافيلي في كتابه (الأمير) ؟ .. إنها نفس التعاليم التى طبقها صدام حسين مع اعدائه واصدقائه ورفاقه وحتى أقاربه دما ولحما ، منذ أن كان يعيش على هامش حزب البعث العراقي الى أن أصبح في قمته مستمدا الوحى من شيطانه الكرية (القائد المؤسس) ميشيل عفلق . إنها أساليب الاغتيال السياسى بكل أشكاله ، نقض العهود ، دس السم في الطعام ، مصافحة المعارض واستقباله بابتسامة عريضة ثم طعنه من الخلف ، الوسيلة تبرر الغاية ، السير على جماجم الضحايا والقفز فوق الجثث ، السير في جنازة الضحية ، الظهور بمظهر القوة والأبهة الكاذبة ، الغطرسة والصلافة واللؤم والاستهانة بالآخرين ... الخ .. من الصفات التى لا يمكن أن توجد الا عند أعداء البشرية من الفاشيين الحاقدين على كل شيء انسانى .

فهل تسعف هذه التعاليم صدام حسين ، وتنقذ جلده من الموت المحقق الذى ينتظره على يد الشعب العراقي ؟ ..

إن ميكافيلى إنما كتب كتابه في العصور الوسطى . وحين أرسل تعاليمه الى أميره ، كان لم يضع في حسابه ثورات الشعوب ، ولذلك لم يتطرق الى كيفية إنقاذ الجلد من غضبة الجماهير . ولعل ميكافيلى كان يعرف أن تعاليمه لا يمكن تحقيقها الا في أوساط الطبقة الحاكمة الارستقراطية وداخلها وإن الأمر حين يصل إلى الجماهير ستكون تعاليمه هباءمنثورا .

وهكذا نجد أن تعاليم ميكافيلى لم تنقذ ، لا هتلر ولا موسولينى ولا بول بوت ولا شاه ايران ، فكيف بها تنقذ صدام حسين الذى هو مجرد قزم أمام أولئك ؟

إن صدام حسين الذى يستعمل عبارة (الحسابات الدقيقة) بكثرة وبلهجة الواثق من نفسه عن غرور وغطرسة ، يعلم علم اليقين ، أن حساباته هذه المرة ليست غير دقيقة فحسب ، بل إنها عشوائية وتخبطية .. وإن حساباته (الدقيقة) جداً قد أدخلته هذه المرة في ورطة لا مخرج منها . وإنها إنما عجلت بتقريب نهايته المحتومة وإرساله إلى حيث سلفه الشاه المقبور حيث ينتظره في قمامة التاريخ .

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

شعبة المنهج و التعميمات

مكتب الاتصال باللجان الثورية

طرابلس الجماهيرية

حسن أبو يوسف اللويثي

حسن أبو يوسف اللويثي